﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: 41 - 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

تـقـريـرُ كـمـال التَّسلية بالوَعْدِ بنُصْرة الدِّين

لَمّا دلَّت الآيةُ السّابقةُ على إغلاق باب الأملِ في هدايتهم؛ لأنَّ الأصمَّ لا يَسمع، والأعمى لا يرى، والَّذي في ضلال مبين لا يَؤوبُ، وهذا يتَطلَّبُ معرفة جوابِ سؤالٍ يقولُ: وماذا بعدُ؟ أيُّ شيءٍ بعدَ اليأسِ مِن هدايةِ الأصمِّ الأعمى؟ فتُجيبُ الآيتانِ، وتقولُ: الَّذي بعدَ ذلك هو نُصْرةُ دينكَ يا محمَّدُ في حياتك، أو بعد مماتك؛ لأنَّ الانتقامَ مِن المُجادِلينَ للّه بعدَ موته ﷺ، لا معنى له في مقامه هذا، وسياقه هذا إلّا نصرةُ الدِّين؛ لأنَّ كَسْرَ عِظام عدوِّ دين اللّه يعني نصرة دين اللّه، وليس بعد نُصرة الدِّين مِن تسليةٍ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّقۡتَدِرُونَ﴾: (قدر): أصل صحيح يدلُّ على مبلغ الشَّيء وكُنْهه ونهايته، فالقدر مبلغُ كلِّ شيء، يُقال: قدره كذا، أي: مبلغُه، وكذلك القَدَر، والقُدْرة إذا وُصِفَ بها الإنسان فاسمٌ لهيئةٍ له، بها يتمكَّن مِن فعل شيء ما، وإذا وُصِف بها اللّه تعالى؛ فهي نفيُ العجز عنه، وهذا هو المرادُ مِن القدرة في كلمة: ﴿مُّقۡتَدِرُونَ﴾، وقدرته تعالى تامَّة مطلقةٌ، ومُحال أن يوصَف غيرُ اللّه بالقدرة المطلقة معنًى، وإن أُطلِق عليه لفظًا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نصْرُ الدّين وعدٌ متحقِّقٌ من ربِّ العالمين

في هاتيْنِ الآيتيْنِ يُخاطِبُ اللّهُ نبيَّه محمَّدًا ﷺ بأنْ يستمرَّ في

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 378، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 219.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (قدر).

دعوته غيرَ ناظِرٍ إلى نتائج هذه الدَّعوة، ولو وجد قومه صُمًّا آذانُهم، وعُمْيًا عيونُهم عن قولِه؛ لأنَّه سينصرُ دينَه - لا محالةَ - فإنْ عجَّل اللّٰهُ وفاةَ نبيِّه قبل الانتقام مِن أهل الكفر؛ فإنَّه سينتقمُ منهم بعدَ وفاتِه، أو أن يُرِيَ اللّٰهُ رسولَه العذابَ الَّذي وعدهم به في حياته، فإنَّه قادرٌ عليهم، فهُم في قبضة قدرته، لا يفوتونه أبدًا، وقد أراهُ اللّٰهُ ذلكَ يومَ بدرٍ، ولم يقبض اللّٰه رسولَه حتَّى أقرَّ عينَه مِن أعدائه، وحكَّمَه في نواصيهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ التَّعبير بالفاء في: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾:

قد تترتَّبُ المِنحةُ على المِحْنةِ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ معناها التَّفريعُ والتَّرتيبُ، فما بعدَها مُفرَّعٌ على قولِه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ووجهُ ذلكَ: أنَّ المُفرَّعَ عنه يتضمَّنُ إيماءً إلى التَّأييسِ مِن اهتدائِهم، وتصريحَ تسليةٍ له ﷺ، مِن شدَّةِ الحِرْصِ في دعوتِهم، فناسَبَ ذلكَ أن يكونَ المُفرَّعُ إخبارًا بتحقيقِ وعدٍ بالانتقامِ منهم، ومعناهُ الوَعْدُ بإظهارِ الدِّينِ؛ إن كانَ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ، أو بعدَ وفاته، ووعيدِهم بالعقابِ في الدُّنْيا قبلَ عقابِ الآخرةِ، والمُفرَّعُ هو: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾، وأمّا ما ذُكِر معَه؛ فمرادٌ منه تحقُّقُ ذلكَ على كلِّ تقديرٍ[2].

سِرُّ التَّوكيدِ في الآية:

في التَّوكيدِ تجليةٌ لعظيمِ مقامِ رسولِنا عندَ ربِّه

قولُه تعالى: (إمّا) مِن قولِه تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: كلمتانِ مُتَّصلتانِ، أصلُهما: (إن) الشَّرطيَّة، و: (ما) زائدةٌ بعدَ: (إنْ)، وأُدغِمَتْ نونُ: (إنْ) في الميم مِن حرفِ: (ما)، وكُتِبت الكلمتانِ كما نُطِقَتا، ويكْثُر اتِّصالُ فِعْلِ الشَّرْط بعدَ: (إن) المزيدةِ بعدَها: (ما)

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 382.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 217.

بنونِ التَّوكيدِ؛ زيادةً في التَّوكيدِ، وقد اتَّصلت هذه النّونُ بالفعل في قولِه تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ أيضًا، وجملةُ: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ مؤكَّدةٌ بإنَّ واسميَّةِ الجملةِ، وكذلك جملةُ: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾[1]، وذلكَ التَّوكيدُ الَّذي يجري في بيانِ الآيةِ ناظِرٌ إلى مَن يَظُنُّ خِلافَ ذلك، مِن أهلِ الكُفْرِ، وناظِرٌ إلى أنَّه ﷺ مُشَرَّفٌ عندَه - ﷻ - مُعظَّمٌ لديه، فذَهابُه به مِمّا يُستبْعَد، ومِن حقِّه أنْ يُنْكَر، وكذا إراءتُه ما توعَّدَهُم بهِ؛ لأنَّ المَظنونَ إكرامُهُم لأجْلِه[2].

دلالةُ إسناد الفعلين إلى الله تعالى:

في قوله تعالى: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ و﴿نُرِيَنَّكَ﴾: أسند القرآنُ معنى كلِّ فعلٍ مِن الذَّهابِ والإراءةِ إلى اللّه ﷻ، وهذا الإسنادُ - في نورِ سياقِ تقريرِ عظيمِ جهدِه ﷺ في دعوتهم، وحرصِه على هدايتهم - يدلُّ على غايةِ إكرامِ اللّه لرسولِ اللّه محمَّدٍ ﷺ، وغايةِ اعتنائِه بشأنِه، واهتمامِه لأمرِه، وهكذا كلُّ صادقٍ مخلصٍ في دعوته إلى الحقِّ، وكلُّ على قدرِه ورتبتِه ودرجتِه.

رسـولُ اللـه محـمَّـدٌ أقـربُ الخَلْقِ إلى الله ومِن الله

دلالةُ التَّعبيرِ بالفاء في: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾، وقولِه تعالى: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ واقعةٌ في صدرِ جوابِ الشَّرْطِ؛ سواءٌ أكان ما بعدَها هو الجوابَ، أو كانَ دليلًا عليه، وكان الجوابُ محذوفًا، وسيأتي أنَّ الجوابَ هنا محذوفٌ في موضعَيْه، وترتيبُ الانتقامِ منهم على الذَّهابِ بهِ ﷺ، والاقتدارِ عليهم على إراءةِ اللّهِ نبيَّه العذابَ الَّذي وعدَهُم إيّاه، في ظاهرِ اللَّفْظِ: دلالةٌ على شدَّةِ الغضب، وإبلاغٌ في اللَّفْتِ إلى عظيمِ قدرِه ﷻ، وأنَّ وجودَه فيهم نعمةٌ جليلةٌ جِدًّا؛ لأنَّ وجودَه بين أظْهُرِهِم هو سببُ تأخيرِ العذابِ عنهم، وأنَّ معصيتَه

مَن جعَل الخيرَ سببًا في حصولِ الشَّرِّ لـه؛ فهو أحمقُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 217.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 30.

ورفْضَه ومحاولةَ التَّقْليلِ مِن شأنِه، وما جَرَى في هذا الطَّريقِ مِن المعنَى: سببٌ عظيمٌ لغضبِ اللهِ ﷻ، وذلك كلُّه يرجِعُ إلى قولهم في السِّباق: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31]، بالنَّقْضِ والإبطالِ والإنكارِ.

علَّة التَّعبير بضمير العظمة:

مَـن غـفَـل عن عظمة الله في حـالِ الإمـهـال؛ أبْصَرها في حالِ العذابِ

أسند القرآنُ الانتقامَ مِن أهلِ الكُفْرِ الصُّمِّ العُمْيِ، والاقتدارَ عليهم إلى ضميرِ العظمة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾، وقولِه تعالى: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾؛ إبلاغًا في ترهيبِهم وتهديدِهم، وإنباءً بعِظَمِ مخالفتِه ﷻ؛ تعظيمًا وتفخيمًا لشأنِه الشَّريفِ وجنابِه المُنيفِ، وإرشادًا إلى عظيمِ قدرتِه تعالى على أن يُحقِّقَ فيهم ما يريدُ.

نكتةُ تقديم ﴿مِنْهُم﴾، و﴿عَلَيْهِم﴾:

مَـن هـانَ عليه رسولُ الله؛ هان كـلَّ الـهـوان على الله

قدَّم القرآنُ الجارَّ والمجرورَ: ﴿مِنْهُم﴾ على قوله تعالى: ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾ على خلاف الظَّاهر؛ لأنَّ المُقدَّم مُتعلِّقٌ بالمُؤخَّر الَّذي هو اسمُ فاعلٍ، وكذلك تقديمُ قوله: ﴿عَلَيْهِم﴾ على قوله: ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾؛ للعناية والاهتمام، ووجهُ ذلكَ هنا الدَّلالةُ على التَّمكُّنِ في الانتقام منهم والاقتدارِ عليهم[1]؛ وللدَّلالة على عظيم استحقاقهم لذلك كلِّه، أي: مِثْلُهم كفرًا وشركًا وعصيةً، وهوانًا وضعْفًا ننتقمُ منه، ونقتدرُ عليه، ونتَج عن هذا التَّقديم تأخيرُ قولِه تعالى: ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾، وقولِه تعالى: ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾، فتحقَّق بذلك التَّناسب معَ الفواصلِ قبلَهما، والفواصلِ بعدَهما.

علَّةُ التَّعبيرِ بالانتقام مادَّةً وصِيغَةً:

مَن عـابَ رسولَ اللهِ؛ انتقَم الله منه

لَمَّا كانَ قومُ رسولِ اللهِ ﷺ قد عابوه، وجعلوه سببَ رفْضِ الهُدَى والحقِّ الَّذي جاءَهُم بهِ مِن عندِ اللهِ ربِّهم، فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 218.

﴿ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31]، كانَ جزاؤُهُم مِن جِنْسِ عملِهِم، فعبَّرَ عن عذابِهم وعقابِهم بالانتقام، فقال: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾، ومادَّتُه تدلُّ على إنكارِ شيءٍ وعيبِه، يُقال: نقمْتُ عليه أَنْقِمُ: أنكرتُ عليه فِعْلَه، والنِّقْمة مِن العذابِ والانتقام، كأنَّه أنكَر عليه، فعاقَبَه[1]، وذلكَ على سبيلِ المجازِ المُرْسَلِ الَّذي عَلاقَتُه اللُّزوميَّةُ، فكأنَّ القرآنَ بذلكَ جَمَعَ بينَ المُسبَّبِ للعقابِ وسببِه، مِن إنكارِهم على رسولِ اللّه ﷺ أنْ يكونَ نبيًّا ورسولًا، وهذا ضَرْبٌ مِن الإيجازِ عَلِيٌّ، "وقد استُعمل: ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾ للزَّمانِ المستقبلِ استعمالَ اسمِ الفاعلِ في الاستقبال، وهو مجازٌ شائعٌ مُساوٍ للحقيقةِ، والقرينةُ قولُه: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾"[2]، وصيغةُ الافتعالِ في الانتقامِ تدلُّ على مزيدٍ مِن الغَضَبِ، وصيغةُ الاسميَّة تدلُّ على ثباتِ الانتقامِ ودوامِه[3].

نكتةُ التَّقديم بين الآيتَين:

لن يضيِّع الله دينه، ولن يخذل أولياءه

قدَّمَ القرآنُ الجملةَ الأولى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ على الجملةِ الثّانية: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾؛ "لمعنًى جليلٍ، وهو أنَّ الأمرَ أمرُنا، وأنَّ الشَّأنَ شأنُنا، نفعلُ ما تراهُ الحِكْمةُ، وليس ما يتمنّاهُ أولياؤُنا، ثمَّ إنَّ نُصْرة الحقِّ بعدَ الموتِ داعية أفعلُ وأدلُّ على أنَّ صوتَ الحقِّ لنْ يَضِيعَ عندَ اللّه، وإن صُمَّتْ عنه الآذانُ، وعَمِيَتْ عنهُ العُيونُ"[4]، فالتَّقديمُ امتدادٌ لتقريرِ أنَّ كلَّ شيءٍ يتعلَّقُ بكُفْرِ هؤلاء وإيمانِهم إلى اللّه القادرِ، فليس شيءٌ مِن ذلكَ إليه ﷺ، وما عليه إلّا البلاغُ.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (نقم).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 218.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 218، و محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 384.
(4) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 383.

معنى: ﴿أَوْ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

الآيتانِ يُمثِّلان وجهيْنِ لحقيقةٍ واحدةٍ

كلمة: ﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: حرفُ عطفٍ، وهي هنا للتَّقسيم والتَّرديد، وفائدةُ التَّرديدِ في هذا الشَّرْطِ: تعميمُ الحالَيْنِ حالِ حياةِ النَّبيِّ ﷺ، وحالِ وفاتِه، والمقصودُ: وقت ذينك الحالَيْنِ؛ لأنَّ المقصودَ توقيتُ الانتقام منهم، والمعنى: أنَّنا منتقمون منهم في الدُّنْيا، سواءٌ كنتَ حيًّا، أو بعدَ موتك، أي: فالانتقام منهم مِن شأننا، وليس مِن شأنِك؛ لأنَّه مِن أجلِ إعراضِهم عن أمرِنا ودينِنا[1].

علَّةُ التَّعبير بالإراءة مادَّةً وصيغةً:

موعود الله تعالى قريب

عبَّر القرآن بالإراءة مِن الرُّؤْية البصريَّةِ في قولِه تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾؛ لأنَّها أدلُّ على التَّهديدِ، وحصولِ النَّصْرِ، وشفاءِ صدرِه مِن أعدائه أعداءِ الدِّينِ، و"لأنَّ الاقتدار ممّا يُرَى، فناسَبَ الشَّرْط"[2]، الَّذي هو مِن الرُّؤية: ﴿نُرِيَنَّكَ﴾، وقولُه تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: معطوفٌ على ما بعدَ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾؛ فنَظْمُ الإراءةِ فعلًا مضارعًا يُنبِّهُهُم على إمكانِ حدوثِها في أيِّ وقتٍ يريدُه الله ﷻ، فهو للحالِ والاستقبالِ؛ مفيدًا التَّهديدَ والتَّرهيبَ الشَّديدَ، كالمضارع: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾.

علَّةُ التَّعبيرِ بالموصوليَّة في: ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾:

قد أرَى الله نبيَّه ذلكَ يوم بدرٍ

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: المرادُ بالموصولِ وصلتِه هو العذابُ، فهو الانتقامُ المأخوذُ مِن قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾، وقد أراه الله الانتقامَ منهم بقَتْلِ صناديدِهم يومَ بَدْرٍ[3]، والتَّعبيرُ عنه بالموصوليَّةِ إبلاغٌ في التَّهديدِ والتَّرهيبِ بالمواجهة بالوعيدِ بما يعرفونه.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 326، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 219.
(2) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 384.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 218.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بضمير العظمة في: ﴿وَعَدْنَاهُمْ﴾:

تتظاهَرُ عناصرُ الآيـة عـلى بيان عظمته ﷻ

أسند القرآنُ الوعد الَّذي هو بمعنى الوعيد إلى ضمير العظمة: (نا) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَاهُمْ﴾؛ للمبالغة في تهديدهم بتقرير كشْفِ ذلك العذابِ عن عظمة قدرة الله تعالى، فالمُسْرِفُ في الكُفْر شديدُ الغفلةِ عن اللّه جلالًا وجمالًا وكمالًا، فمَن لم يعرفه في حالِ العمل؛ عرَفَه في حال الحساب والعقاب، وهل تنفعُه معرفتُه حينئذٍ؟ وتعظيم العذابِ وتهويلُه تعظيمٌ للمُخاطَبِ ﷺ، بقرينة قوله: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾.

سِرُّ حذفِ جواب الشَّرط:

يـوحِـشُ رسـولَ اللهِ ويُحْزِنُه أيُّ خبرِ سوءٍ لأُمَّتِه

اقترَن قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ بفاء جواب الشَّرط؛ لأنَّه جملة اسميَّةٌ؛ لكنَّه ليس هو الجوابَ بإجماع المفسِّرين؛ لأنَّ اقتدارَ اللّه عليهم ليس مشروطًا بشرطٍ، فلا يُناسب أنْ يكون مُعلَّقًا على إراءته الرَّسولَ ﷺ الانتقامَ منهم، والتَّقديرُ: أو نرينَّك الذي وعدناهم، فتقرَّ عينُكَ، أو: نرينَّك الَّذي وعدناهم تره انتقامًا، لا يَفْلِتون منه، وإنَّما حُذِف الجوابُ إيجازًا؛ لقَصْدِ التَّهويلِ[1]، وفي الحذفِ هنا ما في نظيره في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾، من عدم إيحاش نَفْس رسولِ اللّهِ ﷺ بما يُغْضِبُه، ويُحْزِنُه في شأنِ أمَّته.

معنى: ﴿عَلَىٰ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

يـفـعـلُ الـلـه ما يـشـاء بـقـدرته وعلمه وحكمته

كلمة: ﴿عَلَىٰ﴾ حرفٌ معناه الاستعلاءُ الحقيقيُّ، كما في قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: 13]، أو المجازيُّ، كما في قولِه تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5]، وهي هنا في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ من هذا البابِ، فقدرةُ اللّهِ مستعليةٌ عليهم، مُتمكِّنةٌ منهم غايةَ التَّمكُّنِ، فهُم مغلوبون مقهورون - لا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 218، و محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 384.

محالةَ - فدين الله منصورٌ كذلك، فأيُّ قدرةٍ تثبت في مواجهة قدرة ملِك الملوك ﷻ؟

دلالةُ صيغة الافتعال في لفظ ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾:

شـدَّة الـقـدرة صـورة لعِـظَـم الجريمة

في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾: نظَم القرآن قدرة الله على هؤلاء الكافرين الصُّمِّ العُمْي في صيغة الافتعال، والاقتدارُ شِدَّةُ القدرة، واقتدَرَ أبلغُ مِن قدِرَ، وهذا إبلاغٌ في تقريرِ وعيدِهم وتهديدِهم، وتحقيقٌ وتوكيدٌ لوقوعِ الوعيد؛ لأنَّ أفعالَ أهلِ الكفرِ أفعالُ مَن يُنكر قدرتَه تعالى، ودلالةٌ على مزيدٍ مِن الغضبِ الإلهيِّ عليهم[1]؛ لأنَّهم غفلوا، وانصرفوا، وأعرضوا عن عظيم، وهو ذِكْرُ الرَّحمنِ، والنَّبيُّ المصطفَى العدنان، الَّذي لم يكن له مِن همٍّ إلّا همُّ دعوتهم إلى الحقِّ والهدى؛ لينجو مِن عذابِ الله وغضبه في الدُّنيا والآخرة.

سِرُّ تقييدِ الجوابِ بالشَّرْطِ:

التَّجَرُّدُ للدَّعْوةِ إلى الحقِّ أخصُّ صفاتِ الدُّعاةِ الحقيقيّينَ

إذا كان قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾، وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾: هو المقصود بالتَّفريع، فهو المُفرَّعُ في الحقيقة، فلماذا ارتبَط بهذا الشَّرْطِ، الَّذي هو موتُه ﷺ في الأوَّلِ، وإراءته عذابهم حال حياته في الثّاني؟ والجواب أنَّ ذلك لإفادةِ معنًى جليلٍ يعْظُم به الدُّعاةُ إلى دِينِ الله تعالى، في كلِّ عَصْرٍ ومِصْرٍ وجِنْسٍ، "وهوَ أنَّ الدُّعاةَ إلى الحقِّ الَّذي يُؤمنون به في أمور الدِّين، وفي أمورِ الدُّنْيا في العِلْم أو في السِّياسةِ، أو فيما شئتَ: عليهم أن يُخْلِصوا في دعوتهم إلى ما آمَنوا به غيرَ ناظِرينَ إلى نتائجِ هذهِ الدَّعوةِ، ويستوي أن يَرَوا بأعينِهم آثارَ دعوتِهم ومظاهرَ نجاحِها، أو يَرَوا بأعيُنِهم أنَّها ليس لها نتائِجُ"[2]، ومِن فوائدِ التَّقييد بالشَّرط الأوَّل؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 30، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 218، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 384.

(2) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 382.

لأنَّه اللّافِتُ: دَفْعُ استبطاء النَّبيِّ ﷺ، أو المسلمين تأخيرَ الانتقام مِن المشركين؛ لأنَّ المشركين كانوا يتربَّصون بالنَّبيِّ الموت، فيستريحوا مِن دعوته، فأعْلَمَه الله أنَّه لا يُفْلِتُهم مِن الانتقام على تقدير موته، وقد حكَى الله عنهم قولَهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾ [الطور: 30]، ففي هذا الوعيدِ إلقاءُ الرُّعْبِ في قلوبهم؛ لِما يسمعونه[1].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الانتقام والثّأر:

الانتقامُ أعمُّ مِن الثَّأر

الثَّأرُ: هو القتلُ النّاتجُ عن قتلٍ، يُقال: ثأرتُ فلانًا بفلانٍ؛ إذا قتلْتَ قاتلَه، والنِّقْمةُ والانتقامُ: إنكارُ العيبِ، وقد يُشْفَع بالعقابِ عليه، أي: كأنَّه أنكَر عليه، فعاقَبَهُ، ولذلك قال الرّاغبُ: إنَّ النِّقمة إنكار الشَّيء إمّا باللِّسان، وإمّا بالعقوبة[2]، والله تعالى قال: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف: 136]، فجعَل الغرق سببًا عن الانتقام، وقال: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٥﴾ [الزخرف: 25]، فجعل الانتقام عقابًا، فكلٌّ منهما غيرُ الآخَر، وقد يكونُ مآلُهُما واحدًا؛ إذا أُعْقِبَ الانتقامُ بالقتلِ، ولا شكَّ أنَّ في الثَّأر إنكارًا، وعُبِّر بالانتقام؛ للدَّلالةِ على أنَّ الله قد أقامَ عليهم الحُجَّة، بإنكارِه عليهم ما كان منهم، وتنبيههم إلى خطَئِهم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 219.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (ثأر)، و(نقم)، والراغب، المفردات: (نقم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"